استئناف واقع موقع الاستدلال على ما تضمنته جملة ( وجعلوا ﷲ أندادا ) الآية . وقد فصل بينه وبين المستدل عليه بجملة ( قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ) الآية . وأدمج في الاستدلال تعدادهم لنعم تستحق الشكر عليها ليظهر حال الذين كفروهما وبالضد حال الذين شكروا عليها وليزداد الشاكرون شكرا . فالمقصود الأول هو الاستدلال على أهل الجاهلية كما يدل عليه تعقيبه بقوله ( وإذ قال إبراهيم اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ) . فجيء في هذه الآية بنعم عامة مشهودة محسوسة لا يستطاع إنكارها إلا أنها للتذكير بأن المنعم بها وموجدها هو اﷲ تعالى .

وافتتح الكلام باسم الموجد لأن تعينه هو الغرض الأهم . وأخبر عنه بالموصول لأن الصلة معلومة الانتساب إليه والثبوت له إذ لا ينازع المشركون في أن اﷲ هو صاحب الخلق ولا يدعون أن الأصنام تخلق شيئا كما قال ( ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن اﷲ ) فخلق السماوات والأرض دليل على إلهية خالقها وتمهيد للنعم المودعة فيها فإنزال الماء من السماء إلى الأرض وإخراج الثمرات من الأرض والبحار والأنهار من الأرض . والشمس والقمر من السماء والليل والنهار من السماء ومن الأرض وقد مضى بيان هذه النعم في آيات مضت .

والرزق : القوت . والتسخير : حقيقته التذليل والتطويع وهو مجاز في جعل السيء قابلا لتصرف غيره فيه وقد تقدم عند قوله تعالى ( والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ) في سورة الأعراف . وقوله ( لتجري في البحر ) هو علة تسخير صنعها .

ومعنى تسخير الفلك : تسخير ذاتها بإلهام البشر لصنعها وشكلها بكيفية تجري في البحر بدون مانع .

وقوله ( بأمره ) ب ( تجري ) .

والأمر : هنا الإذن أي تيسير جريها في البحر وذلك بكف العواصف عنها وبإعانتها بالريح الرخاء وهذا كقوله ( ألم تر أن اﷲ سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ) . وعبر هذا الأمر بالنعمة في قوله ( ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة اﷲ ) وقد بينته آية ( ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره ) الآية .

وتسخير الأنهار : خلقها على كيفية تقتضي انتقال الماء من مكان إلى مكان وقراره في بعض المنخفضات فيسقى منه من تمر عليه وينزل على ضفافه حيث تستقر مياهه وخلق بعضها مستمرة القرار كالدجلة والفرات والنيل للشرب ولسير السفن فيها .

وتسخير الشمس والقمر : خلقهما بأحوال ناسبت انتفاع البشر بضيائهما وضبط أوقاتهم بسيرهما .

ومعنى ( دائبين ) دائبين على حالات لا تختلف إذ لو اختلفت لم يستطع البشر ضبطها فوقعوا في حيرة وشك .

والفلك : جمع لفظه كلفظ مفرده . وقد تقدم عند قوله تعالى ( والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ) في سورة البقرة .

ومعنى ( وآتاكم من كل ما سألتموه ) أعطاكم بعضا من جميع مرغوباتكم الخارجة عن اكتسابكم بحيث شانكم فيها أن تسألوا ا إياها وذلك مثل توالد الأنعام وإخراج الثمار والحب ودفع العوادي عن جميع ذلك : كدفع الأمراض عن الأنعام ودفع الجوائح عن الثمار والحب .

فجملة ( وآتاكم من كل ما سألتموه ) نعيم بعد خصوص فهي بمنزلة التذييل لما قبلها لحكم يعلمها ا ولا يعلمونها ( ولو بسط ا الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ) وأن الإنعام والامتنان يكون بمقدار البذل لا بمقدار الحرمان . وبهذا يتبين تفسير الآية .

وجملة ( وإن تعدوا نعمة ا لا تحصوها ) تأكيد للتذييل وزيادة في التعميم تنبيها على أن ما آتاهم ا كثير منه معلوم وكثير منه لا يحيطون بعلمه او لا يتذكرونه عند إرادة تعداد النعم .

بها المعتاد النعم مثل وذلك . فيه وتأخذوا العد تحاولوا إن ( تعدوا إن ) فمعنى A E التي ينسى الناس أنها من النعم كنعمة النفس ونعمة الحواس ونعمة هضم الطعام والشراب ونعمة الدورة الدموية ونعمة الصحة وللفخر هنا تقرير نفيس فأنظره .

والإحصاء : ضبط العدد وهو مشتق من الحصا اسما للعدد وهو منقول من الحصى وهو صغار الحجارة لأنهم كانوا يعدون الأعداد الكثيرة بالحصى تجنبا للغلط .

وجملة ( إن الإنسان لظلوم كفار ) تأكيد لمعنى الاستفهام الإنكاري المستعمل في تحقيق تبديل النعمة كفرا فلذلك فصلت عنها